ISSN 1412-226x

الأزهار

نصف سنوية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية

في هذا العدد

- الوسطية وحاضر الأمة ومستقبلها
- التطرف، والمداهنة، وكيفية التصدي لهما
- مفهوم الأمانة ودلالاتها في ضوء القرآن الكريم
- تعليل الأحكام في العبادات من إعلام الموقعين
- الفرائض الشافعي من نسخة كتاب منهج الوصول إلى تحرير الفصول
- أصول الفضائل لدي ابن حزم الأندلسي
- المنهج "الوسطي التربوي" وأثره في تكوين شخصية الطالب الجامعي المعتدلة نفسياً ومجتمعياً

السنة الثانية عشرة العدد 2 ✿ صفر 1437 هـ/ديسمبر 2015م

ISSN 1412-226x

AL-ZAHRÄ'

الزهراء

نصف سنوية محكمة تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا، تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية

A refereed academic twice yearly, published by Islamic and Arabic Studies Faculty,
the State Islamic University (UIN) Syarif Hidayatullah Jakarta,
and concerned with Islamic and Arabic research and studies

Volume 12, No 2, Safar 1437 H/December 2015 M السنة الثانية عشرة، العدد 2، صفر 1437هـ/ديسمبر 2015م

رئيس التحرير
غلمان الوسط عمر حسن

هيئة التحرير
محمد شيرازي دمياطي أحمدي عثمان أحمددين أحمد طهار

تحرير ومراجعة لغوية
إمام سوجوكو

تجهيز منهج
فاتح الندى، محمد خير المستغفرين

سكرتير التحرير
أيدا حميرة

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير:
Fakultas Dirasat Islamiyah Universitas Islam Negeri (UIN) Syarif Hidayatullah,
Jl. Ir. Juanda No. 95 Ciputat Jakarta 15412 Indonesia

العنوان الإلكتروني:
journal.alzahra.fdi@uinjkt.ac.id

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت:
http://journal.uinjkt.ac.id/index.php/zahra

المحتوى

حديث الزهراء

الوسطية وحاضر الأمة ومستقبلها

محمد عبد الشافي..... 135

البحوث والدراسات

التطرف والمداهنة وكيفية التصدي لهما

نجم عبدالرحمن خلف..... 139

مفهوم الأمانة ودلالاتها في ضوء القرآن الكريم

أحمددين أحمد طهار..... 151

تعليل الأحكام في العبادات من إعلام الموقعين

زهرة العين منصور..... 169

الفرائض الشافعي من نسخة كتاب منهج الوصول إلى تحرير الفصول

إإن سوريانيغسي..... 194

أصول الفضائل لدي ابن حزم الأندلسي

ويلّي أوكتافيانو..... 206

المنهج "الوسطي التربوي" وأثره في تكوين شخصية الطالب الجامعي المعتدلة نفسياً ومجتمعياً

عدنان مصطفى خطاطبة..... 221

المنهج "الوسطي التربوي" وأثره في تكوين شخصية الطالب الجامعي المعتدلة نفسياً ومجتمعياً

عدنان مصطفى خطاطبة
كلية الشريعة جامعة اليرموك إربد الأردن

Abstract
The study aimed to indicate the role of moderate approach "educational" in the psychological composition of the student campus and community interactions and reduce manifestations of extremism in the university environment. The study found the most important the following results: a moderateapproach educational organization of moderate Islam in a clear way that came out of Islam in Muslim personal breeding and the Muslim community on the truths of religion and its concepts and guidance comprehensive, integrated and balanced education to achieve happiness in this world and the hereafter. And it supports the construction of educational curriculum average student university on Islamic foundations in the perception of the existence and to the community and to the human spirit and the knowledge, and the curriculum is a university student who receives an educational curriculum that shape the character centrist Muslim university student formulation of social determinants. And it works to activate the average educational curriculum to reduce the manifestations of extremism in the university environment, and then local

Key Word: المنهج الوسطي (moderate curriculum), تكوين (building), شخصية (character).

إن الغاية العظمى لرسالة الإسلام هي أن يعبد الله تعالى وحده في هذه الأرض، عبوديةً مبناها على الحقّ والاعتدال، ولم يكن ذلك ليتحقق إلا بقيام رسالة الإسلام على العلم الذي يقود للحق، وعلى الوسطية التي تنبت الاعتدال، وليكون ذلك هو الكفيل لإيجاد تلك الشخصية المسلمة العابدة، المتزنة في معرفتها وسلوكها؛ فمعرفتها قائمة على الحق، وسلوكها متصف بالاعتدال.

وتشكل شخصية الطالب الجامعي أحد أهم مخرجات النظام التعليمي السائد في الجامعات، حيث تعمل على تشكيلها وبنائها منظومة من العمليات التربوية والتعليمية المختلفة، والتي من أبرزها المنهاج المعرفي التربوي والذي له إسهامه القوي وتأثيره المشهود في بُنْية الطالب وشخصيته من كل جوانبها، والتي من بينها: تكوينه النفسي، وسلوكه المجتمعي. ولذا كلما كان المنهاج يتصف بالوسطية، كلما كان التكوين النفسي للطالب الجامعي أكثر اتزانا، وكان سلوكه المجتمعي أكثر اعتدالا، ولا شك أنّ مثل هذه المحدّدات الايجابية متوافرة بأقصى درجاتها في المنهاج التربوي الإسلامي المنطلق من الكتاب والسنة.

من هذه المقدمات، انطلقت فكرة هذه الدراسة، والتي تقوم على أنّ المنهجية الوسطية- والتي تحمل مضمونا تربويا معتدلا على المستويين: المعرفي والتطبيقي- تعمل على بناء شخصية الطالب الجامعي، وتؤثر بشكل فاعل في تكوينه النفسي المتزن وتفاعلاته المجتمعية المعتدلة، والتي يكون صداها الطبيعي مزيدا من التضييق على مسالك الغلو والتطرف في البيئة الجامعية، ومزيدا من الانتشار لمظاهر

الوسطية والاعتدال في حرم الجامعة وفي مجتمعها ومختلف انتماءاتها.

مفهوم المنهج "الوسطي التربوي" وأبرز ملامحه ومحدّداته بالنسبة للطالب الجامعي

لكي يتضح أثر المنهج الوسطي في تربية الطالب الجامعي وبخاصة في تكوينه النفسي وتفاعله المجتمعي، لا بد من البدء بتعريف المنهج الوسطي بصورة عامة والمنهج الوسطي التربوي بصورة خاصة، والإشارة إلى أهم ملامح هذا المنهج، وأبرز محدداته بالنسبة للطالب الجامعي.

أولاً: تعريف المنهج الوسطي "التربوي"

تعريف المنهج، والوسط، والتربية في اللغة:

المنهج في اللغة: جاء في لسان العرب تحت مادة "نهج"، طريق نهج: أي بيّن واضح، وهو النّهج، والمنهاج كالمنهج هو الطريق الواضح[1]، ومن معانيه المحدثة: الخطة المرسومة ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم، والجمع مناهج، والنهج هو البيّن الواضح[2]. وعليه فإنّ خلاصة المعنى اللغوي الذي تدور عليه لفظة "المنهج": هو الطريق الواضح البيّن.

والوسط في اللغة: جاء في معجم مقاييس اللغة: "وسط: الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنّصف، وأعدل الشيء: أوسَطه ووسَطه"[3]، وجاء في لسان العرب وسط شيء: ما بين طرفيه، ووسط الشيء وأوسطه: أعدله، ويقال كذلك: شيء وسط: أي بين الجيّد والرديء، والوسط كذلك الخيار فالرجل من أوسط قومه، أي من خيارهم[4]. وجاء في المعجم الوسيط: الوسط: المعتدل من كل شيء والعدل والخير[5]. وخلاصة المعنى اللغوي للوسط: أنه ما بين طرفي الشيء، والمعتدل والخيار من كل شيء.

والتربية في اللغة: جاء في معجم مقاييس اللغة: ربّ: الراء والباء يدل على أصول منها: إصلاح الشيء والقيام به[6]، ومن معاني الربّ كما في لسان العرب: المصلح، ربّ الشيء إذا أصلحه، ويقال: ربّ ولده والصبي يربّه ربّاً بمعنى: ربّاه، ورباه تربية: أحسن القيام عليه[7]. وجاء في المعجم الوسيط ربا الشيء ربوا: نما وزاد وعلا وارتفع، وربى في بني فلان: نشأ فيهم، وربّا فلاناً: غَذّاه ونشّأه. وخلاصة المعنى اللغوي للتربية هو: النمو، والإصلاح، وإحسان إقامة الشيء.

ومما تقدم دراسته فإنّ المراد بالمنهج الوسطي التربوي لغة: الطريق الواضح المعتدل في الإصلاح والتنشئة.

تعريف المنهج الوسطي "التربوي" اصطلاحاً:

بعد معرفة الدلالة اللغوية للمنهج الوسطي التربوي، وأنها تشير إلى الطريق الواضح المعتدل في الإصلاح والتنشئة، لا بد من توضيح المراد بالمنهج الوسطي "التربوي" من المنظور الإسلامي، وحتى يتضح المعنى لا بد من معرفة معنى المنهج والوسطية والتربية في المنظور الإسلامي.

جاء في مفردات ألفاظ القرآن، النهج: الطريق الواضح، ومنهج الطريق ومنهاجه، وقد قال تعالى: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } (المائدة:48) [8]. وقد قال الطبري في معنى المنهاج في هذه الآية:

"المنهاج، أصله الطريق البين الواضح، يقال منه: هو طريق نهج ومنهج، ثم يستعمل في كل شيء كان بيّناً واضحاً سهلاً"[9]. وقال في معنى الآية بناء على معنى المنهاج المذكور: "فمعنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقاً إلى الحق يؤمّه، وسبيلاً واضحاً يعمل به"[10]. وقال الآلوسي:"والمنهاج: الطريق الواضح في الدين، والمنهاج: الطريق المستقيم"[11]. ونقل ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ المراد بقوله: "ومنهاجاً" أي: سنّة، ورجح ابن كثير أنّ هذا هو المراد في الآية[12].

ويعرف المنهج في الاصطلاح العام بأنه "الطريقة المنظمة في التعامل مع الحقائق والمفاهيم أو التصورات أو المعاني"[13]، ويعرف كذلك بأنه "البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة أو الطريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم"[14].

وعليه يرى الباحث أن المنهج في المنظور الإسلامي هو: الطريق الواضح الذي جاء به الوحي لتحقيق مراد الله عز وجل.

وأما معنى الوسطية، فإنه يتضح من خلال فهم الآية الكريمة{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } (البقرة: 143)، قال الطبري في معناها: "كما هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم وسطاً"[15]، ثم قال: "وأرى أنّ الله تعالى ذكره إنّما وصفهم بأنّهم "وسط" لتوسّطهم في الدين فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا الكتاب، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه"[16].

ثم ذكر الطبري ما جاء في تفسير الوسط وما نقل عن الأئمة السابقين، بأنّ معناه يدل على العدل والخيار، فخيار الناس عدولهم[17]، وأنّ معنى الوسط عنده كذلك يشير إلى "الجزء الذي هو بين الطرفين"[18]. وقال ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة: "والوسط هاهنا: الخيار والأجود، كما يقال: قريش أوسط العرب نسباً وداراً، أي: خيرها"[19]. ونقل في معناه كذلك عن السلف: العدل[20]. وقال السعدي في تفسير الوسط في الآية: "أي عدلاً خياراً، وما عدا الوسط فأطراف داخله تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين"[21].

وقد توصل عدد من الباحثين إلى أن استعمال كلمة "وسط" في اللغة والقرآن والسنة، يدل على: الخيار والعدل والأكثر فضلاً، وعلى ما كان بين شيئين فاضلين، أو بين شريّن وهو خير، أو لِمَا بين الجيّد والرديء، والخير والشر، وأنّ من الخطأ حصر المعنى عند أصل دلالتها اللغوية، أي: التوسط بين طرفين مهما كان موضوع هذا الوسط[22].

وعليه يرى الباحث أن الوسطية في المنظور الإسلامي تدل على الحقائق والمفاهيم العادلة والخيّرة التي جاء بها الوحي.

وأما معنى التربية فهي الاصطلاح العام، "العمليات التي يتفاعل معها الإنسان المتعلم من أجل

النهوض بقواه الفطرية، والعقلية والانفعالية والاجتماعية والحركية، وإكسابه الخبرة لمواجهة الحياة، والتكيّف معها"[23].

وأما التربية في الإسلام فتعرف بأنها "نظام تربوي شامل مستقل، يهتم بإعداد الإنسان الصالح والمجتمع الصالح إعداداً متكاملاً دينياً ودنيوياً اعتماداً على المبادئ والتعاليم والمنهجية الإسلامية المستمدة من مصادر الدين الإسلامي الحنيف"[24]. وتعرف كذلك، بأنها "تربية الإنسان المسلم من جميع الجوانب: الناحية العقلية، والجسمية، والخلقية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية حسب قدراته وإمكاناته لنصل به إلى الكمال الإنساني مطبقاً لتعاليم الدين الإسلامي، متكيفاً مع بيئته الاجتماعية"[25].

وأما منهج التربية في التصور الإسلامي فيعرفه مدكور بأنّه: "نظام الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة التي تقدمها مؤسسة تربوية إسلامية إلى المتعلمين فيها، بقصد إيصالهم إلى درجات الكمال التي هيأهم الله لها، وبذلك يستطيعون القيام بحق الخلافة في الأرض عن طريق الإسهام بإيجابية وفاعلية في عمارتها، وترقية الحياة على ظهرها وفق منهج الله"[26]. ويعرف فؤاد موسى، وباصطلاح أكثر تحديداً، المنهج الدراسي في المفهوم الإسلامي بأنه "منظومة الخبرات التربوية التي تهيؤها المؤسسة التربوية لتلاميذها لمساعدتهم على النمو الشامل المتكامل المتوازن (إيمانياً، وخلقياً، وجسمياً، وعقلياً، ونفسياً، وجنسيا، واجتماعياً) بما يحقق خلافتهم لله في الأرض، وفق هدى الله"[27]. وبعد دراسة للمفهوم الإسلامي للمنهج التربوي يعرفه شحات بأنه "مجموع الخبرات والمعارف والمهارات التي تقدمها مؤسسة تربوية إسلامية إلى المتعلمين فيها، بقصد تنميتهم تنمية شاملة متكاملة جسمياً وعقلياً ووجدانياً، وتعديل سلوكهم في الاتجاه الذي يمكنهم من عمارة الأرض وترقيتها وفق منهج الله وشريعته"[28].

ومما تقدم بيانه، فإن الباحث يعرف "المنهج الوسطي في الإسلام" بأنه: الطريقة الواضحة المنظمة المعتدلة التي جاء بها الإسلام في بيانه لحقائق الدين ومفاهيمه الشاملة لشؤون الدنيا والآخرة. ويعرف الباحث وبناء على ما سبق "المنهج الوسطي التربوي في الإسلام" بأنه: الطريقة الواضحة المنظمة المعتدلة التي جاء بها الإسلام في تربية الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم على حقائق الدين ومفاهيمه وتوجيهاته تربية شاملة ومتكاملة ومتزنة بما يحقق السعادة في الدنيا والآخرة.

ثانيا: أهم ملامح المنهج الوسطي "التربوي" ومحدّداته بالنسبة للطالب الجامعي

لكي يتضح مفهوم المنهج الوسطي "التربوي" في الإسلام بصورة أكثر علمية، ولكي تتم الفائدة التطبيقية له في بيان دورة في التربية الوسطية للطالب الجامعي بمجاليها النفسي والاجتماعي في مباحث الدراسة القادمة، لا بد من إبراز أهم ملامح هذا المنهج الوسطي التربوي ومحدداته بالنسبة للطالب الجامعي والتي يمكن الحديث عنها ضمن جملة النقاط الآتية:

1- يمثل المنهج الوسطي التربوي في الإسلام حلقة منتمية إلى حلقة أوسع، هي المنهج الوسطي الإسلامي الشامل لجوانب: العقيدة والعبادات والمعاملات والسلوك والتربية والتعليم والمعرفة وغيرها

من شرائع الإسلام، وعليه فإنّه ينظر إلى المنهج الوسطي التربوي ضمن هذا السياق، وهو أمر من شأنه أن يعكس خصائص الإسلام الوسطية على خصائص محاورة الوسطية ومنها المحور التربوي، ومن شأنه كذلك أن يتكامل مع بقية المحاور ويتأثر بها ويشترك معها في عملياتها التربوية.

2- يمثل المنهج الوسطي التربوي في الإسلام- وبناء على النقطة السابقة- خصوصيّة من خصوصيات الأمّة، يعبر عن عقيدتها وهويتها وغاياتها، ويستمد من مصادرها الشرعية المعتبرة، ذلك أنّ "لكل أمة ذاتيّتها الخاصّة، وشخصيتها المتميزة، وللمسلمين شخصيتهم الخاصة التي هي{ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ } (البقرة:138) لذلك فإننا نرسم، لأنفسنا مناهجنا الخاصّة التي تنبع من عقيدتنا وقيمنا، وتراثنا، وتُلائم بيئتنا، وعاداتنا، وتلبي أهدافنا وحاجاتنا"[29].

ولذلك يشكل المنهاج التربوي أحد أكبر المحددات والعوامل المؤثرة في شخصية الطالب الجامعي وهويته فكلما كان وسطياً وإسلامياً ومعبراً عن خصوصية الأمة وعقيدتها كانت كذلك شخصية الطالب؛ ذلك أنّ التربية ومناهجها "لباس يفصّل على قامة الشعوب، وأهدافها، إنه لباس يجب أن ينسجهم مع أجوائها"[30]، وروح المنهاج الوسطي التربوي في الإسلام تسري في هيكلة كله[31]، فتؤثر في مخرجاته- الطالب الجامعي- كما تؤثر في مدخلاته وعملياته التعليمية فتمنحه الشخصية الإسلامية المستقلة والمعتدلة.

3- يتسع مفهوم المنهج الوسطي التربوي في الإسلام ليتجاوز حدود المقررات الدراسية التي يتلقاها الطالب- الجامعي- على مقاعد الدراسة، فيشمل بالنسبة للطالب الجامعي كلّ الخبرات التعليمية والمؤثرات التربوية التي تعمل على إحداث التغيير الإيجابي في شخصيته بما يتفق مع منهج الله تعالى، وهذا الاتساع في المفهوم يتفق مع النظرة الحديثة لمفهوم المنهاج التربوي والتي تراه بأنه "جميع النشاطات التي يقوم الطلبة بها، أو جميع الخبرات التي يمرون فيها تحت إشراف المدْرَسة وبتوجيه منها، إضافة إلى الأهداف والمحتوى ووسائل التقويم المختلفة"[32].

ولكن "على الرغم من اتساع المفهوم الحديث للمنهج وشموله إلا إنه يركز كل اهتمامه على ربط الإنسان بالحياة الدنيا والاستمتاع بها دون النظر إلى خالق الكون، على حين أنّ مهمة المنهج في التربية الإسلامية الأولى والأخيرة هي أن تصل الإنسان بالله، ليصلح حاله على الأرض وتنتظم حياته فيها"[33]. وذلك وفقاً لمنهج الكتاب والسنة والذي لا بد أن يتفق المنهاج الإسلامي مع هدف التربية الإسلامية الأساسي الذي ينبثق بدوره من غاية الرسالة الإسلامية وهو إيجاد الإنسان التقي، وعند هذا الهدف تلتقي كل الأهداف الأخرى"[34]، وعلى هذا الأساس يصاغ جميع عناصر المنهج الوسطي التربوي من حيث المحتوى والأهداف والأنشطة والتقويم، فيأتي المحتوى متسقاً مع الأهداف والأنشطة، حيث "يشتمل على العلوم الشرعية والعلوم المادية، العلوم النقلية والعلوم العقلية، العلوم النظرية والعلوم التطبيقية والمهنية"[35].

ولا بد من صياغة محتوى جميع المناهج الدراسية بما يتناسب مع الفكر التربوي الإسلامي[36]، وأن

تؤدي إلى تحقيق الأهداف الكبرى للمنهج التربوي الوسطي المنطلق من التصور الإسلامي المعتدل والشمولي، وهو ما يكفل محدداً واضحاً وسليماً يضمن التأثير الإيجابي والمتزن في شخصية الطالب الجامعي.

4- يعتمد بناء المنهاج الوسطي التربوي للطالب الجامعي على الأسس الإسلامية في النظرة إلى الوجود وإلى المجتمع وإلى النفس الإنسانية وإلى المعرفة[37]. حيث تراعي جميع هذه الأسس في تشكيل المنهج الوسطي التربوي بكافة عناصره، المراد تقديمه للطالب الجامعي وصياغة شخصيته بناء عليه، ليكفل بعد ذلك شخصية وسطية متزنة (مخرجاً تعليميا) عمل على إعداده عمليات تربوية وتعليمية ناجحة تتصف بالتكامل والاتزان في المحتوى والأنشطة والأهداف والتقويم ومن هنا فإنّ من أهم خصائص المنهج التربوي الوسطي في الإسلام المصدرية الإسلامية الصادقة، واتجاهات التكامل والتوازن واليسر والاعتدال الثابتة[38]. وهي تسري في جميع محاور هذا المنهاج وتطبيقاته الميدانية.

5- يشكل المنهاج التعليمي الجامعي الذي يتلقاه الطالب إحدى محددات المناهج التربوي الوسطي الذي يصوغ شخصية الطالب الجامعي المسلم صياغة اجتماعية، إذْ تتكامل وتتعاضد هذه المحددات مع المنهاج التعليمي المدرسي ومع الخبرات التربوية البيئية وبخاصة الأسرية في حلقات متتابعة ومتشابكة ومختلفة التأثير في واقع شخصية الطالب الجامعي ومدى اتصافها بالوسطية والاعتدال. لذلك عند "تنظيم محتوى المنهج، فمن الضروري مراعاة ثلاثة معايير رئيسية هي: الاستمرارية، والتتابع، والتكامل في الخبرات التعليمية"[39]، وذلك بما يتسق مع الأهداف المتزنة للمنهج التربوي الوسطي.

دور التربية الوسطية في التكوين النفسي للطالب الجامعي.

يشكل المنهج التربوي عاملاً أساسياً في التكوين النفسي للطالب الجامعي، ويشكل التكوين النفسي لهذا الطالب أحد أهم الموجهات الأساسية لسلوكه وانفعالاته والتي تتراوح بين الإفراط والتفريط بحسب قوة هذا المنهاج واعتدال تلك النفس.

أولا: المنظور النفسي الإسلامي للشخصية وضرورة مراعاته للطالب في المرحلة الجامعية.

تعد الدراسة النفسية للشخصية الإنسانية من المحاور البارزة في ميدان الدراسات النفسية والطبية، لما يتركه الفهم النفسي والعلمي لهذه الشخصية من الأثر البالغ في تطوّرها وتطويرها وتوجيه سلوكها وحلّ مشاكلها، ومن هنا ظهرت عدة مفاهيم ونظريات للشخصية الإنسانية في الفكر الغربي النفسي، سعت إلى دراسة الشخصية الإنسانية وتقديم نظريات مختلفة الاتجاهات[40]، في فهم بُنْية الشخصية وديناميتها والعوامل المؤثرة فيها وكيفية تطورها وغير ذلك، مستخدمة مختلف الطرق والمقاييس البحثية، وقد جاءت آراؤها في بعض منها مختلّة حيث "نظرت هذه تلك الفلسفات المختلفة إلى الإنسان إمّا على أنه حيوان يسعى بنهم لإشباع دوافعه الأولية، أو على أنّه آلة ميكانيكية معقدة لا تحركه دوافع موجهة نحو غاية بل مثيرات فيزيقية تصدر عنها استجابات عضلية وغدّية مختلفة"[41]. وساد المنظور المادّي وغاب المنظور الإيماني والغيبي في الفهم النفسي المتكامل للشخصية الإنسانية من هذه النظريات والفلسفات

المختصة بدراسة الشخصية[42].

ولّما كان للفكر الغربي في حاضرنا اليوم سطْوته، وبخاصة مع موجات العولمة الزاحفة بقوة على عالمنا الإسلامي، ولما كان الغرب يُصِرّ على عَلْمنة وعولمة مجالنا التربوي والتعليمي بشكل خاص، كان لا بد من العودة إلى اعتماد مقاييس الكتاب والسنة في النظرة الصادقة والمتكاملة للشخصية الإنسانية من حيث بنْيتها وديناميّتها والعوامل المؤثرة في نموها وسلوكها، وبات من الضروري تضمين هذه النظرة في حقل المنهاج الجامعي ومعارفه التي تعمل بشكل فاعل وأوّلي على صياغة شخصية طالبنا الجامعي وبنائه النفسي.

إنّ مفهوم الشخصية في المنظور النفسي الإسلامي "يختلف اختلافاً جذرياً عن كل المفاهيم السابقة، أو اللاحقة، فالمنظور الإسلامي للشخصية يتسم بتفرده عما سواه من النظريات، وذلك نظراً لتفرد الإسلام في أصوله الفكرية التي تتخذ من الدين إطاراً شاملاً لكل أنظمة الحياة، وأنّ مجرد التشابه بين بعض الجزئيات التي وردت في هذه النظريات وبين ما يرد في المفهوم الإسلامي للشخصية لا يعني تشابهاً تاماً أو تطابقاً. إنّ تفرد الرؤية الإسلامية وتميزها يكمن في أنها ترتكز إلى تشريع سماوي ينظم الحياة بجميع جوانبها وينبثق عن دين جاء للناس كافة، وهي رؤيا تستند إلى هذا التشريع وتتجسد بدلالاته في عملية تدريجية متفردة فيما تطرحه في فكرتها وفي طرائقها"[43].

والمنظور النفسي الإسلامي للشخصية الإنسانية، ومنها شخصية الطالب الجامعي، يتلخص في النظر إليها على أنها "وحْدة متكاملة قائمة على تداخل وامتزاج وتشابك دقيق الحبْكة، شديد التعقيد بين المادة والروح، وليس في الإسلام انفصال بين روح وجسد أو انشقاق بين عقل ومادة، وليس الإنسان جسماً فقط كما رأى أصحاب الاتجاه المادي، وليست الحياة الشعورية حركات بدنية وتغيرات فسيولوجية في المخ، وإنما الإنسان جسم وروح، والروح ليست من طبيعة مادية كما أنها ليست مجرد أداء الجسم لوظائفه، ولا توجد الروح والمادة في الإنسان منفصلتين أو مستقلتين إحداهما عن الأخرى، وإنما هما ممتزجتان معاً في وحدة متكاملة متناسقة، وتتكون من هذا المزيج المتكامل والمتناسق ذات الإنسان وشخصيته[44]" وعليه "فالشخصية وحدة متكاملة ناتجة عن تفاعل شديد التعقيد بين مكوّني الجسد والروح، وهي كيان مستقل يميز صاحبه عن غيره من البشر من حيث الفكر (المعتقد) والانفعالات (العواطف والمشاعر والميول والاتجاهات) والسلوك، وتشمل المجموع الكلّي المتكامل للجوانب الجسمية والعقلية والانفعالية والروحية للإنسان في تفاعله المعقد مع البيئة الطبيعية والاجتماعية منذ ولادته وحتى مماته"[45].

والشخصية الإنسانية في المنظور النفسي الإسلامي لها دوافعها التي تدفعها لسلوك معين، وهذه الدوافع منها الفسيولوجية، ومنها الروحية، والنفسية، والاجتماعية، ومنها اللاشعورية وهناك صراع بين الدوافع لا بد معه من أن تستجيب النفس للغالب منها[46]. كما أن هذه الشخصية تتطوّر وتمر بمراحل نمو، هذا التطور له عوامله المؤثرة فيه، وهي عوامل الوراثة (عوامل النضج)، وعوامل البيئة (عوامل

التعلم والخبرة)، كما أنّ لكل مرحلة من مراحل نمو الشخصية وتطورها مطالبها التربوية[47].

إنّ هذا الفهم للمنظور النفسي الإسلامي للشخصية الإنسانية ومنها شخصية الطالب الجامعي يعد ضرورة منهجية وتربوية لازمة لكل من يتصدى لرسم المنهاج التربوي الوسطي الجامعي وتنفيذه إذا ما أراد الحصول على شخصية متوازنة نفسياً، ووسيطة سلوكياً، ومعتدلة فكرياً، وإن هذا الفهم لطبيعة شخصية الطالب الجامعي والتعاطي معه قد غدا "أكثر أهمية وحسما في عصرنا الحالي الذي يشهد التغير السريع في المعرفة والذي يزخر بمعطيات جديدة، أفرزتها متغيرات عديدة يشعر فيها الفرد بعدم الطمأنينة وعدم الاستقرار الأمر الذي يقتضي تسليح أبنائنا وطلبتنا وأنفسنا بالمعرفة وتوكيد العقيدة الإسلامية وإنمائها في ذواتنا واستعادة الثقة بهوية الأمة وفكرها الأصيل. وما من شك بأن سبر أعماق الشخصية بمفهومها الشمولي لا يكون محققا للغرض إذ لم ينبثق عن التصور الإسلامي للإنسان، ولمكانته ولدوره في الحياة، وللغاية من وجوده"[48]. لأنه يحمل المنظور النفسي الوسطي والواقعي للشخصية الإنسانية ولكيفية التعاطي السليم معها، وهو ما يحتاجه طالبنا الجامعي اليوم، ومن هنا فإنّ "المتتبع لآيات القرآن الكريم في خطابها للإنسان يرى أنها تتناول الذات الإنسانية باعتبارها محصلة لمختلف القوى والقدرات التي زود الله بها طبيعة الإنسان؛ سواء تلك القوى المادية التي تربطه بالأرض التي يعيش عليها، وتلك القوى الروحية التي تربطه بالكون الذي يعيش فيه وبربّ هذا الكون وتلك القوى العقلية التي تمكنه من أن يختار من البدائل[49]. وهذا ما يتطلب من الخطاب التربوي الوسطي المقدم للطالب الجامعي أن يراعيه وأن يلتزم بحيثياته، ليستقبل الجهاز النفسي والعقلي لدى الطالب هذا الخطاب بحالة من التوازن النفسي والهدوء الفكري. فأيّ خطاب تربوي يتلقاه الطالب الجامعي دون مراعاة المنهجية الإسلامية في نظرتها النفسية لطبيعة شخصيته، ستؤدي إلى حالات من الاضطراب وعدم التوازن بين قواه النفسية والروحية والجسدية، مما يؤدي إلى مخرجات سلوكية وفكرية بعيده عن الوسطية.

ثانياً: دور "التربية الوسطية" في تحقيق التكوين النفسي المعتدل (الصحة النفسية) للطالب الجامعي

إذا ما أراد المنهاج الجامعي والقائمين عليه أن يكون مُخْرجَهم التعليمي (الطالب الجامعي) بعيداً عن نزعات الغلو ومشارب التطرف ومساربه، فإنّ أحد الأعمدة المنهجية التي لا بد من مراعاتها والالتفات إليها والعمل الجاد على الأخذ بها: تحقيق التكوين النفسي المعتدل أو ما يمكن أن يسمى بالصحة النفسية للطالب الجامعي، والتي تشكّل ضمانة أساسية وشرطاً وقائياً في حماية الطالب من مزالق التطرف والابتعاد عن الوسطية، وذلك من خلال اعتماد المنهاج الجامعي للنهج الإسلامي في التربية الوسطية "النفسية" للمتعلمين، والتي يتطلب تفعيلها في الواقع الجامعي مراعاة عدة أمور، من أهمها:

1- تجاوز إشكالية "الفراغ الروحي" في مناهج التعليم الحديث.

ليست مناهج التعليم الحديثة إلا صدى لواقع الفلسفات العامة الحاكمة حياة المجتمعات المعاصرة اليوم، وهذه الفلسفات والاتجاهات العالمية جعلت "أكثر قضايا الإنسان في هذا العصر مرتبطة بالمادة،

وأصبح المُوَجّهون للمجتمع والمربّون للأجيال، والمخطّطون للأمم ينظرون للأمور من زاوية النفع المادي، حتى غدت هذه الرؤية تعبر عن فلسفة من الفلسفات التربوية المعاصرة، ولعل هذه الظاهرة تفسر لنا كثيراً من الصور التي آلت إليها المجتمعات المعاصرة، التي أضحى من سماتها: الاضطرابات النفسية، والقلق، وانعدام الأمن والطمأنينة، وارتفاع الشعور بالتوتر العصبي والنفسي"[50]. ويحدث هذا رغم وصول الضرورات الأساسية للمعاهد التعليمية إلى مستوى رفيع، يقابله شيوع الملل، وعدم الرغبة في التعليم بين الطلاب، والميل إلى العنف، وهو ما جعل عدداً من التربويين يرون أنّ الحلّ يكمن في تحسين فهم الأسس النفسية للعملية التعليمية وقاموا بعد بذلك بكم كبير من البحوث، إلا إنّ نتائج تطبيقها على الطلاب زادت من عدم الاستقرار لديهم، وسبب ذلك فشلها في تطبيق المنهج العلمي المخصص لدراسة العالم المادي على عالم الإنسان[51]. ذي المكوّنات النفسية والروحية والجسدية والعقلية شديدة التعقيد، مع تغييب كامل لمنهج الله تعالى في فهم الإنسان والتعامل معه.

وبناء على ذلك، كان من الأسس التي سادت وبنيت عليها أكثر مناهج التعليم الجامعي والمدرسي: "تربية الطلاب" على اعتبار المادة قِيمة عليا، ومحركاً رئيساً لحياة الناس، ولهذا ترتبط أكثر الآمال الخاصّة بالإنسان بالمادة، والتعليم بالناحية النفعية المتوازية مع المادة، وسعادة الإنسان بحياته الدنيوية[52].

وأصبحت المقررات الدراسية "تهتم بالمعلومات وحدها وتغفل العواطف والانفعالات والميول والدوافع وغيرها من طاقات الإنسان الموجهة لسلوكه، لذلك كان الضعف في بناء الأفراد وصقل شخصياتهم"[53]. وفي عدم وجود العاطفة القوية الدافعة، والإيمان الملتهب، حيث أهملت كثير من مناهج التعليم الجامعي جانب العاطفة والحب والإيمان، وأهمدت الروح المعنوية لدى الشباب المسلم[54]. وفي رأي محمد إقبال فإن "التعليم الحديث قد جَنى على هذا الجيل جناية عظيمة؛ إذ اعتنت بتربية عقله، وتثقيف لسانه، ولم تعتن شيئاً بتغذية قلبه، وإشعال عاطفته، وتقويم أخلاقه، وتهذيب نفسه، فنشأ جيل غير متوازن القوى، غير متناسب النشأة، قد تضخّم وكبّر بعض نواحي إنسانيته وحياته على حساب بعض، وأصبحت المسافة بين ظاهرة وباطنه، وعقله وقلبه، وعلمه وعقيدته، مسافة شاسعة"[55].

إنّ هذه الإشكالات في المنهج التربوي، إشكالات جوهرية تصيب شخصية الطالب الجامعي بالوهَن، وتجعله عرضه للاستسلام والانقياد وراء كل تيار يمكن أن يجد فيه ما يشبع به نهمه العاطفي ويسد فراغه الروحي، وعليه فيكون من السهل أن ينجذب إلى دعاة التطرف، وإلى الأطراف البعيدة عن نقطة الوسط والاعتدال، لذا وجب أن يعمل المنهج التربوي الجامعي على تجاوز هذه الإشكالات باعتماده التربية الإسلامية التي تربّي شخصية الطالب الجامعي تربية نفسية وسطية.

2- التربية النفسية المتوازنة لشخصية الطالب الجامعي.

إنّ الطالب الجامعي في مرحلته الدراسية الجامعية يخضع لعمليات تربوية تطبق عليه من القائمين على التعليم الجامعي تباعاً للمنهج التربوي المعتمد من قبل الجامعة، وما لم يتبنَّ المنهج التربوي الجامعي خطّ التربية الوسطية الإسلامية، فلن يفلح في تقديم مخرجات تعليمية معتدلة، وذلك لما تحظى به هذه

التربية الوسطية ونهجها المعتدل من خصائص ومقومات وعمليات[56]، تمكنها من إحداث التوازن النفسي والسلوكي في شخصية الطالب الجامعي وإبعاده عن مسالك التهور والتطرف، ذلك أنها- وكما سبق في مقدمة هذا المحور- تمتلك رؤية قرآنية ونبوية صحيحة حول الطبيعة الإنسانية المكوّنة للطالب الجامعي، وهو أمر يؤهلها لبناء شخصية هذا الطالب بناءا نفسياً معتدلاً، ومعالجته "معالجة شاملة لا تترك منه شيئاً، ولا تغفل عن شيء: جسمه وعقله وروحه، حياته المادية والمعنوية، وكل نشاطه على الأرض"[57]. وتتعامل معه كوحدة واحدة متفاعلة الأجزاء- لا منفصلة ولا ناقصة كما هو الشطط في المناهج التربوية الأرضية، "تتكامل قواها النفسية وتتسق معاً، فلا تقوى إحداها بحيث تضر بالأخرى، ولا تبطل إحداها فعل الأخرى، ولا تعمل أي منها بمعزل عن الأخرى، فمع أنها قوى متباينة في ماهيتها إلا أنّ كلاً منها يؤدّي وظيفته في نطاق التكامل الروحي والجسدي معاً"[58].

وتتجسد التربية الوسطية لشخصية الطالب الجامعي وفق المنهج الإسلامي، ليس فقط في مجرد تغذية مكوّناتها النفسية والجسدية والروحية والعقلية وغيرها، بل بتقديم التغذية المناسبة، فهي "لا تعطي كل جانب من الإنسان غذاءه فحسب، بل تعطيه إياه كذلك بالقدر المضبوط الذي لا يجيعه ولا يُتْخمه، ومن ثم ينطلق الإنسان وقد أخذ حظّه من الغذاء الصالح، بمقاديره الصالحة، نشيطاً منتجاً متحركاً على الدوام، وما من نظام آخر يعالج النفس البشرية بهذه الدقة وذلك الشمول"[59]. وهذا يؤكد ضرورة أن يعمل المنهاج الجامعي على "تربية الجانبين الجسمي والروحي للتلميذ معاً، مع الأخذ في الاعتبار أنّ غذاء الروح يكون من نفس مصدرها وهو روح الله(القرآن)، لذلك فغذاؤها هو كلام الله وذكره { أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } (الرعد:28)، ولذلك فإنّ ما يعانيه الشباب (الجامعي) الآن من كثرة الأمراض النفسية ما هو إلا نتيجة عدم تغذية أرواحهم بغذائها المناسب"[60]. لذا بات من الضروري أن يتضمن المحتوى التعليمي المقدم للطالب الجامعي على مجموعات تعليمية تساعد في تحقيق التغذية المتوازنة والاعتدال النفسي لدى طالبها المتعلم.

3- تحقيق "الصحة النفسية" للطالب الجامعة ضمانة الاعتدال

هناك علاقة قوية بين الجانب النفسي للطالب الجامعي وسلوكه، فكلما اتصف الوضع النفسي لدى الطالب الجامعي بالإيجابية أو بما يعرف بالصحة النفسية، كلما كان سلوكه أكثر اعتدالاً وبعداً عن التطرف، وبالمقابل كلما نكست صحته النفسية كلما صار أكثر عرضة للسلوك المتطرف، وأقوى قابلية على تلبية مطالب المتطرفين.

وفي الدراسات النفسية والتربوية الحديثة تناول العديد من خبراء علم النفس والصحة النفسية المكونات النفسية المتعلقة بالتطرف بالوصف والتحليل، وتوصلوا إلى جملة من الخصائص النفسية والسيكولوجية والتركيبية الفعلية التي تدعم خضوع الفرد للآخر الذي ينمّي لديه مجموعة معينة من الأفكار، يجعله يتورط فكرياً في أطر أيدلوجية، ثم يتحول ذلك إلى تورط سلوكي في صورة ممارسات عنيفة ومتطرفة[61]. ومن جملة تلك الخصائص الإحساس بالهامشية، وميل الشخص إلى الحلول القاطعة، والتصلّب- التمسك بأسلوب للعمل أو رأي رغم ما يؤكد عدم صوابيته- والعزلة واللامبالاة والتحدي

والمواجهة المباشرة[62].

وبما أنه يطرأ كثير من التغيرات والتطورات بالنسبة للخصائص والمميزات العامة للنمو الجسمي والانفعالي في مرحلة الشباب– ومنها المرحلة الجامعية– وتتأثر بكثير من العوامل الوراثية والبيئية[63]، فإنه لا بد من إعطاء هذه المرحلة العناية التربوية والنفسية القوية التي تتمكن من تلبية الحاجات الفسيولوجية والحاجات النفسية والحاجات الاجتماعية لدى الشاب الجامعي[64]، وضبط انفعالاته وتوجيه دوافعه، وصولاً به إلى حالة من التمتع اللائق لديه بصحة نفسية تمكنه من ضبط سلوكه وتوجيه انفعالاته في جو من الاعتدال والوسطية.

والحقيقة، إنّ "كل ما في إسلامنا الحنيف يبعث على التمتع بالفطرة السّوية أو السّواء أو بلغة علم النفس الحديث، وحسن التكيف والتوافق والتمتع بالصحة النفسية الجيدة"[65]. والهدى القرآني، والإيمان به وتطبيقه في حياة الطالب الجامعي يساعده على "التمتع بالصحة النفسية الجيدة، وبالصحة الجسمية أيضاً، ويدعوه إلى الشعور بالأمن والأمان والاطمئنان والهدوء والسكينة والراحة والمودة والشفقة، والشعور بالرضا والتوكل على الله والثقة والأمل والرجاء والتفاؤل، وكلها من دواعي التمتع بالصحة النفسية والعقلية والبعد عن تيارات العنف والجريمة والتطرف والتعصب والانحراف عن جادة الصواب"[66].

ولذلك يحرص المنهج التربوي الوسطي في الإسلام على "إيجاد الصلة بين القلب البشري وبين الله، الصلة الدائمة التي تدفع القلب إلى الرجوع لله في كل لحظة، واستشارة دستورية في كل أمر"[67]. ويعمل كذلك على إيجاد حالة من التوازن في الخطوط النفسية المتقابلة والمتوازية في نفسية الطالب الجامعي، وكل نفس إنسانية؛ من الخوف والرجاء، والحب والكره، والواقع والخيال، والفردية والجماعية، والحس والغيب، وغيرها بحيث تؤدي مهمتها بصورة من الوسطية والاعتدال[68]. كما ويعمل المنهج التربوي الوسطي على إشباع الدوافع لدى الطالب الجامعي بكل أنواعها (الدوافع الفسيولوجية والدينية والنفسية والاجتماعية واللاشعورية) [69]، وتلبية حاجاته[70]النفسية والاجتماعية[71]، بكل مراتبها، ومنها: الحاجة إلى التديّن والأمن والاحترام وتقدير الذّات، بطريقة منهجية وتربوية معتدلة، ذلك أنّ "إشباعها أمر طبيعي تقتضيه الفطرة، والإسلام دين الوسطية والاعتدال، ففي الوقت الذي يدعو فيه إلى إشباع الدوافع (وتلبية الحاجات) وعدم كبْتها، فإنّه لا يسمح بإشباعها دون قيد أو ضابط يمنع الشطط في أيّ دافع منها، فدوافعنا كالرياح التي تدفع السفن، لذلك علينا أنْ لا نترك شراع السفينة لحالها، وإلا جرينا معها كالأسرى والأرقّاء، ومن هنا كان لا بد من تنظيم عمل الدوافع وإشباعها وردها إلى الاعتدال الذي هو بين الإفراط والتفريط"[72].

إنّ تطبيق المنهج التربوي الوسطي بمحاوره النفسية المعتدلة في المناهج الجامعي، هو الكفيل بالحصول على شخصية وسطية للطالب الجامعي تتمتع بالصّحة النفسية، ذلك أنّ الشخصية الوسطية هي "الشخصية السّوية المستقيمة على الفطرة، وهي الشخصية الأكثر عدلاً واعتدالاً وخيراً، وهي التي

تتوسط في سمات الشخصية، فتنفرد بالفضائل، أما الشخصية المتطرفة فهي التي تنحرف في سماتها عن حدود الوسط، هذا مع الأخذ بالاعتبار أنّ معيار الحكم على الشخصية الوسطية والمتطرفة هو المعيار العقائدي، إلهي المصدر"[73]، وهذه الشخصية الوسطية التي خضعت لمنهج الإسلام التربوي الوسطي تتسم بجملة من مؤشرات صحتها النفسية تتمثل في "الرضا بالعبودية مقابل السخط، والشعور بالأمن مقابل القلق، والسعادة مقابل الشقاء، وتتحقق الصحة النفسية بتحقيق التوازن والشمولية والتكامل والوسطية، وتتمتع شخصية رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بالصّحة النفسية بأوضح صورها، ذلك أنها حققت صلاح القلب الذي يصلح بصلاحه سائر الجسد، وحققت الاستقامة والتوازن والوسطية فكان النموذج والقدوة للمسلمين وللعالم أجمع"[74].

وهذا ما يؤكد على مناهجنا الجامعية ضرورة أنْ يتضمن المحتوى التعليمي المقدم للطالب الجامعي وسائر الأنشطة المنهجية واللامنهجية الملحقة به الخطوط التربوية النفسية الأصيلة التي يتضمنها برنامج ومكونات المنهج الوسطي التربوي في الإسلام، والعمل على توظيفها بالطرق والأساليب والبرامج التعليمية والتربوية في مختلف ميادين الدراسة الجامعية، بحيث تعمل كمؤثر أساسي في تكوين أحد أهم الجوانب النفسية في شخصية الطالب الجامعي، بما يجعله يتمتع بالصحة النفسية التي تقوده إلى مواقف ذاتية وعامة تتصف بالاعتدال والسّواء، وبعيدة كل البعد عن وصفات التطرف وصفات الغلو وسمات المغالبين.

دور المنهج الوسطي التربوي في التفاعل المجتمعي المعتدل للطالب الجامعي

من العوامل المؤثرة في شخصية الطالب الجامعي- وفي الشخصية الإنسانية عموماً- البيئة؛ وعامل البيئة، وفقاً لدراسات علم نفس النمو[75] ونظريات النمو الإنساني[76]، يشمل كلّ ما يؤثر في الجوانب المختلفة لنمو الشخصية من غير عامل الوراثة أو النضج، وعليه فإنّ المنهج التربوي الذي يتلقاه الطالب الجامعي في مرحلة دراسته الجامعية يعد من أقوى العوامل المؤثرة في سلوكه وتطوّر شخصيته من مختلف جوانبها. وكلما كان هذا المنهج الذي يخضع له الطالب الجامعي أكثر وسطية كلما كانت معالم شخصيته أكثر اعتدالاً، وأقوى اتصافاً بالصحة النفسية.

ومما لا شك فيه أن المنهج الوحيد الذي يستحق أن يوصف بالاعتدال والوسطية مضموناً وغاية، هو المنهج التربوي الوسطي المستمد من مصادر الإسلام الأصيلة (الكتاب والسنة)، إذ بتطبيقه السليم يكفل لنا شخصية معتدلة لطالبنا الجامعي تمتاز مما تمتاز به بالتفاعل المجتمعي الإيجابي، حيث العلاقات الإنسانية المعتدلة مع الآخر وفقاً لمنهج الإسلام الوسطي وتوجيهاته. ويمكن إظهار هذا الدور الإيجابي للمنهج التربوي الوسطي من خلال الأمور الآتية:

أولاً: البعد الاجتماعي في المنهج التربوي الوسطي وانعكاساته على المحتوى التعليمي الجامعي

يمكن تجلية البعد الاجتماعي في المنهج التربوي الوسطي في الإسلام من خلال نظرتين عميقتين أصليتين: الأولى تتصل بالمنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية، والثانية تتصل بطبيعة النظام الإسلامي

الرباني، وبالجمع بين هاتين النظرتين– وهما متداخلتان إلى حد كبير– يتضح البعد الاجتماعي الأصيل في المنهج التربوي الوسطي الذي يصوغ حياة المسلم عامة، والمتعلم خاصة.

فالنظام الإسلامي نظام شمولي، وواقعي ومعتدل،[77] ووسطي في كل جوانبه[78]، ومن ذلك وسطيته في تشريعه ونظامه الاجتماعي، حيث فيه "تلتقي الفردية والجماعية في صورة متزنة رائعة، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجماعة، وتتكافأ فيها الحقوق والواجبات، وتتوزع فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم"[79]. فالنظام الإسلامي الوسطي، قرر حرمة دم الفرد المسلم، وحرمة عرضه وحرمة ماله، وحرمة بيته، وقرر له حرية النقد والرأي والفكر، وقرر مع ذلك كله مسؤوليته الفردية، وأكدها تأكيداً بالغاً، ومع هذه الحقوق والحريات التي منحها للفرد بوسطية واعتدال، فرض عليه للمجتمع واجبات تكافئها، وقيد هذه الحقوق والحريات الفردية، بأن تكون في حدود مصلحة الجماعة، وبما لا يضرها، وبما يتفق مع أخلاق المجتمع المسلم وعقائده، ومنع الفرد من الاعتزال المطلق، وشرع ما يعرف بالفروض الكفائية[80]، وهي من أرقى ملامح البعد الاجتماعي في المنهج الإسلامي الوسطي، والذي مما يؤكده أيضاً المنظور الإسلامي للنفس الإنسانية، والذي يمكن وصفه تحت عنوان "الأساس الاجتماعي للطبيعة الإنسانية"[81]. فهناك: "ناحيتان تتصلان بالأساس الاجتماعي لطبيعة الإنسان لهما أهمية خاصة في تربيته، الناحية الأولى: تتصل بالأساس الموجود في الإنسان والفرد والذي يجعل علاقاته الاجتماعية تأخذ شكلاً معيناً، والناحية الثانية: تتصل بالتشكيل الاجتماعي الموجود في الفرد"[82].

والمنظور الإسلامي لطبيعة الإنسان يؤكّد على "أنه كائن اجتماعي بطبعه منذ أنْ خلق الله تعالى آدم وحواء، وخلق من النفس الإنسانية زوجها"[83]. وعلى أن كيانه الإنساني يجمع خطوطاً مزدوجة ومنها "هذان الخطان المرتبطان المتناقضان: إحساس الإنسان بفرديته، وإحساسه بالميل إلى الاجتماع بالآخرين والحياة معهم كواحد منهم. ولقد اضطربت كثير من النظم وكثير من الفلسفات بين هذه النزعة وتلك، بعضها يوسع دائرة الفردية حتى تصل إلى الأنانية المرذولة، وتفكيك روابط المجتمع، وتشتيت طاقاته، وبعضها يوسع الدائرة الجماعية حتى تقضي على كيان الفرد وتلغي وجوده"[84]. والمنهج التربوي الوسطي الإسلامي "يعالج كلتا النزعتين؛ فيغذيهما معاً، ويجعلهما متساندتين بدلاً من أن تكونا متنازعتين. إنه يحتاج إليهما معاً لأنّ الفطرة لا تستقيم بإحداهما دون الأخرى"[85].

ومن هنا يحرص المنهج التربوي الوسطي على بناء شخصية الطالب الجامعي بناء معتدلاً بحيث يكون هذا الطالب إنساناً متوازنا في فرديته ومتوازنا في ميله إلى الجماعة وتعاونه معها، وهو يصل إلى ذلك بوسائل شتى؛ فأمّا الفردية فينشئه بربط القلب البشري بالله هذه الصلة بالله هي التي تمنح الإنسان وجوده المستقل وتميزه داخل حسه وتؤدي لبث الروح الجماعية في قلبه، فيلين قلبه لأخيه الإنسان ويحبه بمحبته لله، وهذا الحبّ هو الرباط الحي الحقيقي الذي يربط الجماعة في المنهج الإسلامي، وهو يغذيها إضافة لذلك بالتوجيهات الدائمة إلى التعاون والتشاور والوفاق[86].

ومن هنا فالطالب الجامعي الذي تتبنّى جامعته المنهج الإسلامي الوسطي في التربية، تصاغ نفسيته

وشخصيته صياغة متوازنة تعمل باعتدال وفي آن واحد على خط الفردية والاستقلالية وعلى خط الجماعة والمسؤولية الكلية، وبذلك فقط، يظهر البعد الاجتماعي في المنهج التربوي الوسطي، إذ لا يعرف الضد إلا بما يقابله، فعندما يكون هناك اتزان في الفردية يكون هناك اتزان في الحركة المجتمعية وفقاً للمنظور الإسلامي المتكامل، والذي جسده حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذ اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[87]. هذه هي الروح الجماعي التي تسري في المنهاج الإسلامي التربوي.

إنّ هذا البعد الاجتماعي للمنهج التربوي الوسطي وحالات الاتزان بين الفردية والجماعية، لا بد لها أن تسود في المنهاج التعليمي، وأنْ تظهر تطبيقاتها في المحتوى التعليمي، إذ من المتفق عليه عند التربويين أنّ المنهاج التربوي لا بد أن يبنى على مجموعة من الأسس، من بينها: الأسس الاجتماعية، والتي تفهم على أنها "القوى الاجتماعية المؤثرة في وضع المنهاج وتنفيذه وتتمثل في التراث الثقافي للمجتمع، والقيم والمبادئ التي تسوده، والاحتياجات والمشكلات التي يهدف إلى حلها، والأهداف التي يحرص على تحقيقها"[88]. وفي المجتمع الإسلامي فإنّ أسس هذا المجتمع وهذه التفاعلات بين الأفراد والجماعات تنبثق من الشرع الإلهي، ولا بد فيه من أن تلتقي أهداف الفرد مع أهداف الجماعة[89].

وعليه فمن واجب المنهاج التربوي بكل عناصره، ومنها المحتوى التعليمي، أنْ ينسجم مع المنظور الإسلامي للفرد والجماعة، وأنْ يعمل على تفعيل الروح الجماعية لدى الطالب الجامعي وفي إطار من الحفاظ على شخصيته أيضاً، وإيجاد التوازن العادل بين نوازعه الإنسانية المتنوعة، فيعمل المحتوى التعليمي على إشعار الطالب بأنه فرد في جماعة، مسؤول عن نفسه، ومسؤول كذلك عن مجتمعه الجامعي والحياتي تربطهم جميعاً رابطة الدين والمحبة والتعاون، ولا شك أن هذا الاتزان والاعتدال في المحتوى التعليمي الذي يتلقاه الطالب الجامعي في بناء "التفاعل المجتمعي" الوسطي لديه، هو ما يقود إلى حصولنا على مخرج تعليمي "وسطي" بعيد عن نزعات التطرف والْتِواءات الغلو.

ثانياً: تنمية مهارات التواصل الاجتماعي لدى الطالب الجامعي:

لعل من بين أبرز المهام التي يقوم بها المنهج التربوي الوسطي بناء المهارات وتنميتها لدى المتعلم، وهي مهمة أساسية لا بد أن يضطلع بها المنهاج الجامعي بشكل خاص، لأنه يشرف على مخرج تعليمي بالغ الأهمية من حيث مرحلته العمرية والوظيفية. ومن بين المهارات اللازمة للطالب الجامعي هذا ليكون مخرجاً تعليمياً ناجحاً، مهارة التواصل أو الاتصال الاجتماعي: فهماً وبناء وتنمية وتطويراً سواء في دائرته الجامعية أم خارجها، حيث يكون هذا الطالب مرسلاً ومستقبلاً في آن واحد لا يجنح إلى أحدهما دون الأخرى، فيكون على أحد أطراف الإفراط أو التفريط.

وتأتي تنمية مهارة التواصل، بتبني الجامعة للمنهج التربوي الوسطي في الإسلام، والذي يفرض على المنهاج الجامعي وفلسفته التربوية تبنيه للقيم الاجتماعية التي تحكم علاقة الطالب المسلم مع غيره من المسلمين وغير المسلمين[90]، مثل قيمة التعاون، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والإحسان، والإصلاح، والإيثار، والتسامح، والعدل، والرحمة، وحفظ اللسان، والوفاء بالعهد، وغيرها من

القيم الاجتماعية التي تبني جسور التواصل الاجتماعي بين الطالب الجامعي وغيره من فئات المجتمع عامة، ومجتمعه الجامعي خاصة، من موظفين ومتعلمين وأساتذة.

ولعل طبيعة العلاقة بين الطالب الجامعي وأستاذه المدرس من بين العوامل ذات التأثير القوي في تنمية مهارات التواصل الاجتماعي لدى الطالب وتوجهاته لما لها من انعكاسات نفسية عليه، قد تكون إيجابية إذا ما كانت هذه العلاقة في الاتجاه الصحيح، وقد تكون سلبية إذا ما كانت في غير مسارها اللائق، وفي كلتا الحالتين ستترك أثراً في نفسية الطالب وفي تشكيل مهارات التواصل الاجتماعي لديه. وحتى يقوم الأستاذ الجامعي بوضع علاقته بطالبه في مسار إيجابي لا بد من تبنيه لقيم ومبادئ المنهج التربوي الوسطي في الإسلام، ووعيه بدوره الأساسي تجاه طالبه، والذي يتجاوز مهمة حشو ذهنه بالمعلومات وإلقاء المادة العلمية عليه في قاعة المحاضرات ضمن وقت زمني محدد، إلى قيامه بدوره ومقصودة الأكبر وهو "تنمية شخصية الطالب بكل جوانبها: العقلية والعاطفية والثقافية والاجتماعية"[91]، وتشكيل مشاعره ورؤيته للحياة، وأن يجسد الأستاذ الجامعي في علاقته مع طلابه القيم والمبادئ التي يؤمن بها"[92]. وهي في المنهاج التربوي الوسطي، قيم تحث على التواصل وتدعو إلى الاحترام وتزرع الحب وتنمي روح الأخوة وصدق اللهجة وتبادل العواطف والحوار في إطار العدل والرحمة والثقة، وإذا بالطالب يجد نفسه أمام نوع من التفاعل المجتمعي الإيجابي في حياته الجامعية كلها وفي حياته الاجتماعية والوظيفية الخاصة به، مما يبعده عن الأجواء الملبدة التي قد تهيؤه ليدخل في مسارب التطرف والغلو.

والجامعة الحريصة على مخرجات تعليمية معتدلة النفسية وفاعلة اجتماعياً، يلزمها بعد تبنيها لمسار المنهج التربوي الوسطي، أن تعمل على تنمية المهارات الأساسية عند طالبها الجامعي التي تساعده على التواصل الاجتماعي داخل الجامعة وخارجها، بصورة تبدو منها ملامح الوسطية والاعتدال لدى هذا الطالب. والتنمية والتطوير لمهارات الاتصال هذه، لا بد أن يتم عبر عناصر المنهاج التربوي الجامعي ابتداء، وعبر العملية التعليمية، وعبر أنشطة الجامعة اللامنهجية، دون ذلك لا يتم الأمر كما يجب، وإنما ستبقى مهارات الاتصال عبارة عن معلومات نظرية محددة تمّ تلقّي بعضها في قاعات الدرس.

لذا يجب أن تحرص العملية التربوية في الجامعة على تفعيل عناصر المنهاج بطرق إجرائية صحيحة لتطوير مهارات التواصل لدى الطالب الجامعي، فتعمل "أنشطة المنهج على إشباع حاجات التلاميذ حتى تتولد لديهم الدوافع للنشاط والاستمرار فيه، وتدريب التلاميذ على كيفية إشباع وتهذيب حاجاتهم – وليس كبتها- بالطرق المشروعة"[93]، فتكون "الأنشطة والخبرات التعليمية والتعلّمية ذات اتجاه اجتماعي"[94]. ومن أهم مهارات التواصل الاجتماعي التي من المفيد تطويرها عند الطالب الجامعي من خلال "العملية التربوية": مهارة العمل بالنظام الجامعي، ومهارة النظافة والالتزام بالمظهر الإسلامي، ومهارة استثمار الوقت[95]، ومهارة العمل التطوعي، ومهارة المشاركة في المحاضرات، ومهارة إلقاء تحية الإسلام، ومهارة استعمال الكلمة الطيبة، ومهارة الحوار، ومهارة تبادل الهدايا، ومهارة التزاور، ومهارة البحث والمطالعة والقراءة الجماعية، وغيرها من المهارات الاجتماعية التي تعمل على صقل وتنمية

الجانب الاجتماعي في شخصية الطالب الجامعي، بنوع من التكامل مع باقي جوانب شخصيته، بما يكفل له درجة إيجابية من التواصل الاجتماعي التي تحول بينه وبين حالة التوحّد والانغلاق التي تشكل فخاً ومصيدة لهواة التطرف.

ولا بد من التأكيد هنا، أنّ ما سبق الحديث عنه من التكوين النفسي للطالب الجامعي هو على صلة مباشرة بالتواصل الاجتماعي لديه، حيث تشير المعادلة إلى أن "من يمتلك صحة نفسية، يمتلك بالضرورة قدرة على التفاهم الجيد مع واقعه الخارجي، وأما من تلتبس عليه نفسه، وتضيق عليه وسائل التصالح مع ذاته وفق الخصائص الوجدانية والعقلية التي وهبها الله له، فإنّه معرض للتعثر في حياته. ومما لا ريب فيه أن العافية النفسية تولد طاقة عقلية خلاقة، وطاقة بدنية جبارة عند الإنسان، فتزيد من فاعليته الذاتية والاجتماعية، وتهيئ له سبيل التفاعل الحياتي النشط مع الحياة، فالعافية النفسية أساس مكين لتكوين علاقات ناجحة مع الآخر"[96].

وبذلك يلتقي المحوران اللذان تمت دراستهما في هذا المبحث (محور التكوين النفسي، ومحور التفاعل المجتمعي) عند الطالب الجامعي، ويتشاركان في مهمة التأثير المعتدل والإيجابي في شخصية الطالب الجامعي على أساس من الرؤية الوسطية المتزنة في المنهج التربوي الجامعي المستمد من أصول الإسلام ومصادره ومقاصده، وهذا كله من الانسجام التام من المنظور النفسي الإسلامي للشخصية ومكوناتها ومحدداتها وتفاعلاتها.

ولذا كلما حرصت الجامعات على التفعيل العملي لهذه المنهجية التربوية الوسطية، كلما نضجت شخصية الطالب الجامعي، واستوت عنده الوسطية النفسية والمجتمعية، وتهذّبت عنده نوازعه النفسية، وقاد ذلك إلى مخرج تعليمي إيجابي معطاء في مجتمعه بعيد عن مكامن الغلو واتجاهات التطرق التي تستنزف قوى طلابنا وتهدر طاقاتهم العلمية والأخلاقية، وتضر بأبناء مجتمعهم.

دور المنهج الوسطي التربوي في إيجاد البيئة الجامعية المعتدلة

تتحدد أهمية الدور التربوي للجامعة من كونها "قيمة وأداة أساسية تسهم في تكوين شخصية الطالب، وبلورة ملامحه الخاصة من الناحية الفكرية والعامة، باعتباره منتجاً في مجتمعه"[97]. ومما لا شك فيه أنّ فلسفة الجامعة مستمدة من القوى والعوامل الدينية والثقافية وغيرها المؤثرة والمكوّنة للمجتمع، وكلما تأثرت هذا العوامل والقوى بضغوط داخلية وخارجية، كلما انعكس سلباً على دور الجامعة التربوي، وأصبحت الفرص أكثر تهيئة لظهور أشكال الانحراف والتطرف[98]، ويشير أحد الباحثين إلى مدى ظهورها في بعض الجامعات العربية بقوله: "لقد وجدنا التطرف كفكر، والعنف كسلوك قد تسرب تدريجياً على مرّ السنوات السابقة إلى داخل الكليات الجامعية، وأصبح يهدد الكليات العلمية كما يهدد الكليات النظرية ويرتع في الجامعات الناشئة بل تعداه إلى التطرف"[99]، بأشكاله الثقافية والمسلكية والمادية الأخرى. "ونظراً لكون الجامعة هي المرحلة النهائية للتربية النظامية الرتيبة، لها تأثيرها العميق الواسع في إنشاء الجيل الجديد، وفي صياغة الجيل الجديد، فإذا صلحت الجامعة، فقد صلح البلد، وصلحت

الأمة، وصلح الجيل، وإذا فسدت فقد فسد البلد، وفسدت الأمة وفسد الجيل"[100].

ومما لا شك فيه أنه لا صلاح لجامعاتنا إلا بتبنيها للمنهج التربوي الإسلامي "الوسطي" بكل حيثياته، وتطبيقه تطبيقاً كاملاً وواقعياً في الحياة الجامعية برمّتها، لأنّ ذلك هو الضمانة الوحيدة لتخريج جيل من أبناء الأمة قادر على العطاء الإيجابي والتفاعل المتزن مع جميع شرائح مجتمعه. ومتى تمت عملية تفعيل وتشغيل المنهج التربوي الوسطي هذا، فإنّه سيعمل بكل تأكيد– من بين ثمراته الإيجابية الكثيرة– على الحدّ من مظاهر التطرّف في البيئة الجامعية، ويتبعها من ثمّ المحلية كنتيجة طبيعية، وذاك كون هذا المنهج التربوي الوسطي الفاعل في الجامعة، سيحقق الآتي:

أولاً: تحول البيئة الجامعية إلى "مَحْضَن تربوي سليم"

إنّ المنهج التربوي يرتبط دائماً بعقيدة الأمة وبتراثها وبثقافتها وبفلسفتها في الحياة، ومن هنا فإننا "ندرك فداحة الخطأ الذي يقع به المسلمون حينما يقرنون بين التقدم المادّي، وبين الفلسفات التربوية المختلفة، وأصبح واضحاً أكثر، فداحة الخَطْب حينما نتتلمذ على مناهج أوروبا وفلسفاتها، وحين ننقل هذه الفلسفات والمناهج إلى مجتمعاتنا، وإنّه لمن العجيب حقاً أنْ يبذل العالم الإسلامي والمختصون والجامعات جهوداً كبيرة لنقل هذه المناهج إلى لغاته ومجتمعاته مع بعدها عن بيئتنا وعقيدتنا ومكوناتنا الثقافية والاجتماعية، ويرى ذلك سهلاً، ثم لا يقبل أنْ يبذل مثل هذا الجهد لرسم المناهج التربوية التي تنبع من عقيدتنا وتلائم حياتنا وتحقق أهدافنا"[101]. إنّ مثل هذا الخطأ الفادح حينما يرتكب في حق الجامعة العربية أو الإسلامية، إنه يعني بالدرجة الأولى تكوين مَحْضن تربوي غريب على هوية طالبنا الجامعي، وتسليمه لتربية تعبث في شخصية ونفسيته، وتجعل منه وقوداً صالحاً لإشعال الانحراف والتطرف بمختلف صورة في بيئته الجامعية والمحلية وهذا ما تعاني منه بعض بيئات الجامعات بسبب تبنيها للخط الغربي تربية وتعليماً معاً و "المتتبع لأمور التربية يجد أنها بصفة عامة قد أصبحت علمانية، لا دينية خالية من أي ارتباط بعقيدة أو خلق أو قيم"[102].

ونجد الشباب الجامعي هم الأكثر والأقوى تأثراً بهذه المحاضن العلمانية نظراً لمكوناتهم النفسية والعقلية في مرحلة الشباب. وبما أنّ "التربية تخصّ الإنسان، تخصّ عقله وقلبه وروحه، تخصّ وجدانه وسلوكه وتخصّه بشراً يعبد ربه، ويقوم بأمانة الخلافة في الأرض، ولذلك لن تكون إلا من تراب هذه الأرض، ومن سقاء السماء، وما عداها فذاك الضياع، ذاك الضياع"[103]. ومن هنا فإنّ "الصيحة هي من أجل تعليم أخلاقي؛ لأن التعليم لا يمكن أن يكون كاملاً دون أخلاق"[104]. بل هناك الآن "اعتقاد عام على المستوى العالمي بأنّ الأجيال الجديدة تعاني من نقص كبير في القيم والمثل والتسامي، ولذا فإنّ دولاً عديدة في الغرب تفكر في إعادة التربية الدينية والخلقية إلى المدارس (وكذلك الجامعات) بعد أن كانت تظن أن المبادئ العلمانية التي تدعو إليها تغني عن التربية الدينية"[105].

والحقيقة أنه لم يعد، ولن يكون من سبيل أمام جامعاتنا العربية والإسلامية إلا التبني الفعلي والتشغيل الواقعي للمنهج التربوي الوسطي المستمد من أصول الإسلام ومقاصده، لأنه هو الكفيل

بتشكيل محضن تربوي يتصف بالوسطية والاتزان في بناء شخصية الطالب الجامعي، ويسمح له بالحركة المعتدلة في بيئته الجامعية والمحلية، لأن مشاعره وانفعالاته وأفكاره ومسلكياته تتربى في ظل محضن تربوي محكوم إلى عقيدة الإسلام وشريعته الوسطية المعتدلة، وهو ما سيحمي طلاب جامعاتنا من محْرقة البيئات غير الأخلاقية التي ربما يتساقطون فيها، فيضلون وينحرفون ويصبحون لقمة سائغة لدعاة الفكر المتطرف والمنحرف بنوازعه المختلفة.

والجامعة التي تجهل من بيئتها محضناً تربوياً سليماً مؤسّساً على المنهج التربوي الإسلامي "الوسطي" تتمتع بأجواء هادئة بعيدة عن كل مظاهر التشنج والعنف، حيث يسود العلاقاتِ الإنسانية بين جميع أبناء الجامعة الدفءُ والمودة والتقدير، وهذا من أعظم ما يحتاجه الطالب الجامعي ومن أقوى ما يؤثر في خلقه ونفسيته، حيث تتمتع بسبب ذلك علاقاته بأساتذته وبزملائه وبإدارة الجامعة بالصحة وبالإيجابية، وهو أمر من شأنه ضمة إلى المجموع الجامعي، والحيلولة دونه والانعزال والتفرد، فيبتعد بذلك عن كل مزيفات التطرف التي يمكن أن يلوح له بريقها بوسيلة أو بأخرى، فهو قد وجد الأسرة الجامعية الجاذبة لا الطاردة.

ثانياً: قدرة المناهج التعليمية على مواجهة التيارات المنحرفة والمتطرفة.

إنّ المنهاج التعليمي الجامعي المنبثق من المنهج التربوي الوسطي في الإسلام ليست مهمته فقط، في أنْ يقدم ما لديه من معلومات وأفكار، وإنما إضافة لذلك مواجهة ما يعترضه وما يحيط بالأمة عموماً وبالوسط الجامعي خصوصاً من تيارات منحرفة ودعوات متطرفة، تسعى للدخول إلى الحرم الجامعي وإلى قلب شخصية الطالب الجامعي، بإذن أو بدون إذن، سعياً إلى هدم كل القيم الإسلامية المعتدلة التي تعمل على صياغة عقلية الطالب الجامعي وعقيدته وسلوكه، وكما يشهد الواقع "لقد استطاع الغرب من خلال الموجات المتعاقبة للاستعمار العسكري والثقافي، ومن خلال أقسام الفلسفة وأقسام أصول التربية أو فلسفة التربية تفريغ النظام التعليمي في بعض الجامعات من روحه وضميره المنبثقين عن التصور الإسلامي للألوهية والكون والإنسان"[106].

ولقد تنوعت التيارات المنحرفة والدعوات المتطرفة التي كان لها تأثير ما على قطاعاتنا الجامعية من مثل: التنصير، والعلمانية، والشيوعية، والوجودية، والخوارج والمعتزلة، الجدد، والصوفية المغالية، والفرق الظاهرية والباطنية الغالية، وذلك بنسب من التأثير متفاوتة زماناً ومكاناً، وكمّاً وكيفاً، وكان من أحدث الأعاصير الفكرية اللغوية التي واجهتها ساحة التعليم الجامعي ثورة المعلومات الهائلة، والعولمة[107] المتطرفة التي تريد ابتلاع الأنظمة التربوية الخاصّة بأمتنا وتذويبها وشلّ قدراتها في المجتمع والجامعات عن الفعل والعطاء، ولذلك فإنه من المستحيل مواجهة التطرف بمختلف أشكاله من أن يصيب الطالب الجامعي، ما لم يكن المنهاج التعليمي الجامعي قادراً على التعاطي مع مثل هذه التحديات والتيارات، لذا فإنّ "المنهاج المطلوب في بلادنا العربية والإسلامية هو الذي يبني الفرد شخصية متكاملة متوازنة ومعتدة بإطارها القيمي والأخلاقي والروحي"[108]. والقادر على تقديم النموذج العربي الإسلامي بديلاً للنماذج الأخرى، واستيعاب جميع المتغيرات ذات الصلة بمؤسسات التعليم الجامعي[109]. والتي من شأنها

أن تضع الطالب الجامعي في مناخ تفكيري متضارب إن لم يجد التوجيه المناسب للتعامل معها بحيث يبقى في إطار النظر المعتدل.

وحتى ينجح المنهاج التعليمي الجامعي كذلك، في مواجهة التيارات الفكرية المنحرفة والدعوات الضالة والمتطرفة من الداخل والخارج، لا بد أن تراعي فلسفة المنهاج وأهدافه ومحتواه ذلك كله، وأن يقدم للطالب الجامعي المحتوى التعليمي الشامل والمتكامل، المبني على وسطية الإسلام واعتداله، وعلى الوعي والإرشاد بالواقع المعاصر ومذاهبه المتطرفة؛ فيكون شاملاً لشتى أنواع المعارف النافعة، ومتكاملاً في علومه الدينية والدنيوية، وفي عمل مؤسستة التربوية وعمل مؤسسات المجتمع المدني التربوية، وشارحاً للطرق العلمية الصحيحة في التعاطي مع التيارات الغازية، ليضمن بذلك اعتدالاً في شخصية الطالب الجامعي مبنياً على الفهم والوعي، بعيداً عن تهورات العاطفة، وبلاءات الجهل، وسوْءات التطرف والغلو.

ثالثاً: الاستغلال الهادف لطاقات الطالب الجامعي

باعتبار أنه من المقرر كون المنهاج التربوي ليس هو المقررات الدراسية الجامعية فقط، بل هو أوسع منها ويشمل إضافة إليها عناصر أخرى من أهمها، عنصر الأنشطة، وباعتبار ما تقدم التأكيد على ضرورته من أن الجامعة الخاضعة للمنهج التربوي الوسطي تشكل مَحْضنا تربوياً لأبنائها الطلبة، فإنّ الأنشطة المقامة في الجامعة تصبح "مجالاً أصيلاً في برامجها وخططها وتدعيماً للمنهاج وللكتاب من أجل إتاحة فرص مختلفة للطلبة كي يمارسوا خبرات علمية عملية متنوعة هادفة، تؤدي إلى تنمية جميع جوانب الشخصية بشكل متوازن"[110]. ولا شك أنّ الأنشطة التي يمكن أن تتيحها الجامعة لطالبها ليمارسها وينخرط فيها متنوعة وكثيرة، وأيّا كان تنوعها فإنّ هذه الأنشطة لا بد أن تكون هادفة، بحيث تتماشى أهدافها مع أهداف المنهج الوسطي التربوي، وأنْ تعمل على استغلال طاقات الطالب دون هدر لها، وتنمية انفعالاته ومعارفه وسلوكه بشكل متوازن[111]، وأنْ تقام في جوّ من الحرية المسؤولية، والروح الجماعية[112]، وحب النظام[113]، والقدوة الحسنة[114]، على أنْ يؤسّس ذلك كله على قاعدة العبودية لله تعالى[115]، فهذا ما عليه مدار المنهج التربوي الوسطي في الإسلام وما يميزه عن غيره من مناهج التربية الأرضية.

وبهذا التبني لمعطيات المنهج التربوي الوسطي المستمدة من شريعة الله تبارك وتعالى، والتطبيق المعتدل لمضامينه في المرحلة الجامعية من حياة طلابنا، نكون قد أسلمناهم إلى أيد أمينة، ترعاهم وتنصحهم وتحوطهم، وتعطيهم، وتبنيهم وترتقي بهم، في إطار من الوسطية والاعتدال بعيداً عن مستنقعات الغلو والتطرف، لتخرّج لنا طالباً جامعياً يتمتع بالإيمان الصادق وبالصحة النفسية وبالسلوك المتزن وبالعطاء الممتد.

خاتمة

يمثل المنهج الوسطي التربوي في الإسلام، الطريقة الواضحة المنظمة المعتدلة التي جاء بها الإسلام في تربية الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم على حقائق الدين ومفاهيمه وتوجيهاته تربية شاملة

ومتكاملة ومتزنة يحقق السعادة في الدنيا والآخرة. كما يمثل المنهج الوسطي التربوي في الإسلام، حلقة منتمية إلى حلقة أوسع هي المنهج الوسطي الإسلامي الشامل وخصوصية من خصوصيات الأمّة، يعبر عن عقيدتها وهويتها وغاياتها. تحقيق التكوين النفسي المعتدل "الصحة النفسية" للطالب الجامعي يشكل ضمانة أساسية وشرطاً وقائياً في حماية الطالب من مزالق التطرف والابتعاد عن الوسطية.

الهوامش

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، ج2، ص 168-169.

(2) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول، 1989م، ص 957.

(3) ابن فارس، أحمد ، معجم المقاييس اللغوية، دار الفكر، بيروت، ط2، 1418هـ-1998م، ص1091.

(4) ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص 831-386.

(5) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 1031.

(6) ابن فارس، معجم المقاييس اللغوية، ص 398.

(7) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 326.

(8) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق،ط3، 1423هـ-2002م، ص825.

(9) الطبري، محمد بن جرير،جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م، ج10، ص384.

(10) المرجع السابق نفسه.

(11) الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني (د.ط) ج5، ص 10.

(12) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الخير، بيروت، ط1، 1410هـ-1990م، ج3، 127.

(13) العيسوي، عبد الرحمن محمد، وعبد الرحمن العيسوي، مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، دار الراتب الجامعي، 1997م، ص14.

(14) المرجع السابق، ص 81.

(15) الطبري، جامع البيان، ج3، ص 141.

(16) المصدر السابق ج3، ص142.

(17) المصدر السابق نفسه.

(18) المصدر السابق نفسه.

(19) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص 454.

(20) المرجع السابق نفسه.

(21) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، دار السلام، الرياض، ط2، 2002م، ص 70.

(22) ينظر: الصلابي، علي محمد، الوسطية في القرآن الكريم، دار النفائس، عمان، ط1، 1419هـ-1999م، ص41، والتويجري، عبد العزيز، وسيطة الإسلام وسماحته ودعوته للحوار (د.ط) ص13، والعقل، ناصر، مفهوم الوسطية والاعتدال، ندوة أثر القرآن في تحقيق الوسطية، وزارة الشؤون= =الإسلامية، السعودية، 1425هـ ص4، والعمر، ناصر، الوسيطة في ضوء القرآن، (د.ط) ص41-42، وضميرية، عثمان جمعة،

وسيطة الإسلام والأمة المسلمة، مجلة البيان، لندن، العدد 167، 2001م، ص8.

(23) الخوالدة، محمد محمود، مقدمة في التربية، دار المسيرة، عمان، ط1، 1422هـ- 2001م، ص73.

(24) أبو عرّاد، صالح بن علي، مقدمة في التربية الإسلامية، الدار الصولتية، الرياض، ط1، 2003م، ص17.

(25) أبو رزق، حليمة علي، المدخل إلى التربية، الدار السعودية، الرياض، ط1، 1419هـ-1998م، ص13.

(26) مدكور، علي أحمد، منهج التربية في التصور الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 1411هـ-1990م، ص 39-40.

(27) موسى، فؤاد محمد، علم مناهج التربية ومن المنظور الإسلامي، دار الإسراء، طنطا، ط1، 2004م، ص33.

(28) الخطيب، محمد شحات، وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي، الرياض، ط2، 1421هـ-2000م، ص126.

(29) يريغش، محمد حسن، نحو منهج تربوي أصيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م، ص45.

(30) الندوي، أبو الحسن، أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1423هـ-2002م، ص 75-76.

(31) مدكور، علي أحمد، محتوى منهج العلوم الشرعية في الجامعات: الواقع والطموح، مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، ج1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1416هـ-1995م، ص37.

(32) مرعي، توفيق أحمد، ومحمد الحيلة، المناهج التربوية الحديثة، دار المسيرة، عمان، ط3، 1423هـ-2002م، ص 38، وينظر: جان، محمد صالح، المناهج بين الأصالة والتغريب، دار الطرفين، مكة المكرمة، ط1، 1419هـ-1998م، ص 35-35.

(33) الخطيب، محمد شحات، أصول التربية الإسلامية، ص 125-126.

(34) فرحان، إسحاق أحمد، وآخرون، المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان، ط2، 1420هـ-1999م، ص 70-87.

(35) المرجع السابق، ص 89.

(36) ينظر: المرجع السابق.

(37) ينظر في ذلك: الخطيب، محمد شحات، أصول التربية الإسلامية، ص130-131، وفرحان، إسحاق، المنهاج التربوي، ص90-91، وأبو سليمان، عبد الحميد، معارف الوحي: المنهجية والأداء، مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، ج2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1416هـ-1995م، ص 33، ومرسي، محمد منير، التربية الإسلامية: أصولها وتطورها، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ-2000م، ص 99-138.

(38) ينظر حول شرح هذه الاتجاهات: القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ-1985م، ص105-213، والصلابي، علي، الوسطية في القرآن، ص83-224، ومرسي، محمد، التربية الإسلامية أصولها وتطورها، ص 61-98.

(39) الخطيب، محمد شحات، أصول التربية الإسلامية، ص 131.

(40) للوقوف على آراء نظريات الشخصية الغربية في الشخصية واتجاهاتها المختلفة، ينظر في ذلك جابر، جابر عبد الحميد، نظريات الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1406هـ-1986، (الكتاب كاملاً).

(41) السرخسي، إبراهيم محمد، السلوك وبناء الشخصية بين النظريات الغربية وبين المنظور الإسلامي، ط1،

1423هـ-2002م، ص 7.

([42]) المرجع السابق، ص 7-10.

([43]) السرخسي، إبراهيم: السلوك وبناء الشخصية، ص146، وينظر: رمزي، عبد القادر هاشم، النظرية الإسلامية في فلسفة الدراسات الاجتماعية والتربوية، دار الثقافة، الدوحة، 1984م، ص 20-25.

([44]) السرخي، إبراهيم، السلوك وبناء الشخصية، ص 147.

([45]) التل، شادية، أحمد، الشخصية من منظور نفسي إسلامي، دار الكتاب الثقافي، اربد، ط1، 2006م، ص 19.

([46]) ينظر: التل، شادية أحمد، علم النفس التربوي في الإسلام، دار النفائس، عمان، ط1، 1425هـ-2005م، ص149.

([47]) ينظر:المرجع السابق، ص ا92-145، وسليم، مريم، علم نفس النمو، دار النهضة، بيروت، ط1، 2002م، ص13-34.

([48]) التل، شادية، الشخصية من منظور نفسي إسلامي، ص 6.

([49]) السرخي، إبراهيم، السلوك وبناء الشخصية، ص 149.

([50]) بريغش، محمد حسن، نحو منهج تربو أصيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م، ص41.

([51]) النجار، زغلول راغب، أزمة التعليم المعاصر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1400هـ-1980، ص57-58.

([52]) بريغش، محمد، نحو منهج تربوي أصيل، ص 48-49.

([53]) محجوب، عباس، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1408-1987م، ص141.

([54]) الندوي، أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية، ص 43-70.

([55]) المرجع السابق، ص 40.

([56]) لتوسع حول طبيعة منهج التربية الإسلامية، ينظر كتابي: مدكور، علي، منهج التربية في التصور الإسلامي، وقطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط15، 1421هـ-2001م.

([57]) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ص18.

([58]) التل، شادية، الشخصية من منظور نفسي إسلامي، ص 81-82، وينظر: قطب،منهج التربية الإسلامية، ص 21.

([59]) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ص 19.

([60]) موسى، فؤاد، علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي، ص 135.

([61]) البرعي، وفاء محمد، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، دار الوفاء، القاهرة، ط1، 2002، ص49.

([62]) المرجع السابق، ص 49-53.

([63]) المرجع السابق، ص 311

([64]) المرجع السابق، ص 331.

([65]) العيسوي، عبد الرحمن محمد، الإسلام والصحة النفسية، دار الراتب الجامعي، د.ط، ص 13.

([66]) المرجع السابق، ص 33.

([67]) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ص 35.

([68]) المرجع السابق، ص 126-140.

([69]) التل، شادية، الشخصية من منظور نفسي إسلامي، ص 176.

([70]) ينظر: مدكور، علي، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص 161-177.

([71]) ينظر: مرعي، توفيق، ومحمد الحيلة، المناهج التربوية الحديثة، ص 517.

([72]) التل، شادية، الشخصية من منظور نفسي إسلامي، ص 204.

([73]) المرجع السابق، ص 258.

([74]) المرجع السابق نفسه.

([75]) الريماوي، محمد عودة، علم نفس النمو، دار المسيرة، عمان، ط1، 1424هـ-2003م، ص 19-28.

([76]) ينظر: قناوي، هدى محمد، وحس عبد المعطي، علم نفس النمو: الأسس والنظريات دار قباء، القاهرة، 2001م، ص 67-151.

([77]) ينظر: القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص 57-125، وبحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو.

([78]) ينظر: الصلابي، علي، الوسطية في القرآن الكريم، ص 29-270

([79]) القرضاوي، يوسف، الخصائص العامة للإسلام، ص15، وينظر: مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، ص 194-200.

([80]) المرجع السابق، ص 151-154.

([81]) أبو العينين، علي خليل، وآخرون، الأصول الفلسفية للتربية، دار الفكر، عمان، ط1، 2003م، ص 190.

([82]) المرجع السابق نفسه.

([83]) فرحان، إسحاق، المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصرة، ص 93.

([84]) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ص 162.

([85]) المرجع السابق، ص 164.

([86]) المرجع السابق، ص 165-167.

([87]) البخاري، الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1417هـ-1987، باب رحمة الناس، رقم 2238.

([88]) مرعي، توفيق، ومحمد الحيلة، المناهج التربوية الحديثة، ص 195.

([89]) المرجع السابق، ص 196.

([90]) ينظر حول القيم الاجتماعية في الإسلام: خياط، محمد جميل، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، جامعة أم القرى، 1416هـ-1996م، ص154-195، وأبو العينين، علي خليل، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، ط1، 1408هـ-1988م، ص 221-296.

([91]) بكار، عبد الكريم، بناء الأجيال، المنتدى الإسلامي، ط1، 1423هـ-2002م.

([92]) المرجع السابق، ص 145.

([93]) موسى، فؤاد، علم مناهج التربية من المنظور الإسلامي، ص 136.

([94]) فرحان، إسحاق، المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصرة، ص 94.

([95]) ينظر: المالكي، عبد الرحمن بن عبد ربه الله، مهارات التربية الإسلامية (كتاب الأمة)، وزارة الأوقاف، قطر،

العدد 106، 1426هـ ص 184-190، والمجمع العلمي لبحوث الحضارة الإسلامية، الفكر التربوي العربي الإسلامي، تونس، 1987، ص 458-488.

([96]) عيسى، راشد علي، مهارات الاتصال (كتاب الأمة)، وزارة الأوقاف، قطر، العدد 103،1425هـ ص46-47.

([97]) البرعي، وفاء محمد، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، ص 338.

([98]) المرجع السابق، ص 339.

([99]) المرجع السابق، ص 339-440.

([100]) الندوي، أبو الحسن، أبحاث حول التعليم والتربية الإسلامية، ص 109.

([101]) بريغش، محمد، نحو منهج تربوي، أصيل، ص44.

([102]) النجار، زغلول، أزمة التعليم المعاصر، ص29. وينظر حول تأثر مناهجنا التربوية بالفكر الدخيل: الخطيب، محمد شحات، أصول التربية الإسلامية، ص 140-141، والبرعي، وفاء، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، ص305، وفتاح، عرفان، عبد الحميد، المناهج الدراسية الدينية في العالم الإسلامي، ندوة مناهج التعليم الديني في العالم الإسلامي، ماليزيا، 2005، ص186-189، وشوق، محمود أحمد، ومحمد سعيد، معلم القرن الحادي والعشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م، ص101-102.

([103]) بريغش، محمد، نحو منهج تربوي أصيل، ص 29.

([104]) النجار، زغلول، أزمة التعليم المعاصر، ص 62.

([105]) بكار، عبد الكريم، بناء الأجيال، ص35.

([106]) مدكور، علي، محتوى منهج العلوم الشرعية في الجامعات، مؤتمر علوم الشريعة في الجامعات، ج1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، 1995م، ص 370-371، وينظر: البرعي، وفاء، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، ص37.

([107]) للتوسع حول هذا الموضوع، ينظر: بحوث مؤتمر المنهاج التربوي وقضايا العصر، كلية التربية، جامعة اليرموك، عالم الكتاب الحديث، اربد، ط1، 1429هـ-2008م.

([108]) شنان، أحمد، دور النظام المعرفي في تأسيس منهاج للعلوم التربوية، مؤتمر المنهاج التربوي وقضايا العصر، ص 59.

([109]) همشري، خديجة إمام، المناهج التربوية والعولمة، مؤتمر المناهج التربوي وقضايا العصر، ص33.

([110]) التميمي، سعاد مأمون، المنهج التربوي الإسلامي في تشكيل الهوية الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، إربد، 1427هـ-2006م، ص 189.

([111]) ينظر: قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ص 26-28، والبرعي، وفاء، دور الجامعة في مواجهة التطرف، ص76، ومحجوب، عباس، نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم، ص 37-51، وفرحان، إسحاق، المنهاج التربوي بين الأصالة والمعاصرة، ص 92.

([112]) ينظر: البرعي، وفاء، دور الجامعة في مواجهة التطرف، ص303، وأبو سليمان، عبد الحميد، معارف الوحي، ص31.

([113]) بكار،عبد الكريم، بناء الأجيال، ص 31.

([114]) ينظر: الندوي، أبو الحسن، أبحاث التعليم والتربية الإسلامية،ص74.

([115]) قطب، محمد، منهج التربية الإسلامية، ص 34.

ISSN 1412-226x

AL-ZAHRÄ'

JOURNAL FOR ISLAMIC AND ARABIC STUDIES

In This Issue

- Moderation, Present and Future of the Ummah
- Extremism, and Flattery, and How to Face Them
- The Concept of the Trust (*al-Amānah*) and Its Implications in the Light of the Holy Quran
- Verification of Considered Cause (*Ta'līl al-Ahkām*) in Worships from *I'lām al-Muwaqi'īn*
- Shafei Inheritance Distribution from Book Manuscript *Manhaj al-Wuṣūl ilā Taḥrīr al-Fuṣūl*
- The Virtues Basics According Ibn Ḥazm al-Andalusī
- Moderate Educational Curriculum and Its Impact on Forming University Student Personality Moderate Psychologically and Socially

Vol 12 No 2 ▪ Safar 1437 H/December 2015 M